سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٦٩)



سلامة الصدر

لفضيلة الشيخ
أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

الشيخ لم يراجع التفريغ





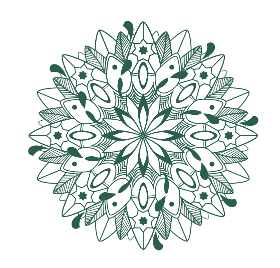
00966558883286
YouTube/alshuwayer9
alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

(٦٩)

سلامة الصدر



لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

في شهر شعبان، وقبل نحو من أربعة أيام، في ليلة النصف من شعبان، وقبل أن أتحدث عن هذه الليلة، سأذكر قاعدة؛ نفهم من هذ القاعدة جزءا من الحديث الذي سأتكلم عنه، هذه القاعدة قاعدة مسلمة عند أهل العلم؛ ذكرها كثير من العلماء؛ **وهي**: أن لا تلازم بين فضل الزمان وبين مطلق العمل، **ومعنى ذلك**: أن هناك أزمانا فاضلة، لكن لا يشرع فيها جميع الأعمال الصالحة، وإنما يشرع فيها ما ورد به النص.

وأضرب لذلك مثالين قبل أن أنزل لموضوعنا:

المثال الأول: أن أفضل أوقات اليوم من حيث الزمان هو العصر، فإنه أفضل من الليل، وأفضل من الصباح، وأفضل من الظهر، وأفضل من السحر قبل الفجر؛ ولذا أقسم الله عَزَّوَجَلَّ بالصلاة التي تكون في وقته قال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، جاء في تفسير بعض الصحابة: صلاة العصر، ولما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ تعظيم اليمين، قال: ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة: ١٠٦]، العلماء لما تكلموا عن تعظيم الأيمان، قالوا: إنها تعظم زمانا، ومكانا، وصفة؛ **فالصفة**: بأن يقول والله الذي لا إله غيره، **والمكان**: إذا كان في مسجد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقسم عند منبره، وفي غيره في المسجد عند موضع صلاة الإمام، **والزمان**: قالوا: من بعد العصر، ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة: ١٠٦]، أي: بعد صلاة العصر، فهو أعظم الأوقات، ومع ذلك فإنه من بعد صلاة العصر لا يشرع مطلق الصلاة، وقت نهي، فإن من أوقات النهي أن يصلي المرء بعد صلاة العصر؛ فدلنا ذلك على أنه مع فضل العصر فلا صلاة في هذا الوقت.

۞ **المثال الثاني:** من أمثلة الأوقات –كذلك– يوم عرفة، فإنه من أفضل الأيام، ويوم العيد، بل هو أفضل الأيام، كما جاء في بعض الأحاديث يوم عيد النحر، فأما يوم العيد فإنه منهي عن صومه، بل هو محرم، وليس مُجْزِءًا فلا يصح، ويوم عرفة يُكره لمن بعرفة أن يصومه، بل إن من كان في عرفة وجمع جمع تقديم؛ منهي عن الصلاة في ذلك اليوم، لكن يتعبد الله عز وجل بما شُرع، ومثله –أيضًا– يقال في سائر الأيام؛ إلا مواضع معينة بيَّن الشرع أنه يستحب فيها مطلق العمل، مثل ما جاء من حديث ابن عباس، أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ**»، فعشر ذي الحجة يستحب فيها العمل، فيدخل فيه الصيام؛ لحديث بعض أزواج النبي ﷺ، والصدقة، والحج، والعمرة، وهكذا، قلت هذا لِمَ؟ لأنه قبل بضعة أيام، أو ليال، وليست أياما، قبل بضعة ليال ، مررنا بليلة النصف من شعبان، وليلة النصف من شعبان ورد فيها حديثان، وقد جمع فيها ابن الدبيسي جزءًا مطبوعًا في تتبع طرق الحديثين، وبعض أهل العلم صحح أحاديث الباب، الحديثان الذان وردا، وضعف ما زاد عنهما مما يتعلق بفضلهما، وأنه يغفر الله عز وجل فيهما لكل مؤمن ومؤمنة، إلا أن يكون مشاحنا، فعندما نتكلم أن هذا فضل هذه الليلة، فمعنى ذلك: أنه لا يلزم أن يكون فيها عبادة، وبناء عليه فنقول: إن تخصيص يوم الخامس عشر من شعبان بالصيام بدعة، لم يفعله أحد من السلف مطلقًا؛ وكذلك على الصحيح من قول أهل العلم أنه لا يشرع إحياء ليلة النصف من شعبان، وإن فعله بعض البصريين، كما نقل ابن رجب، ولكن الصحيح أنه لا يخص؛ لعدم وروده بالنص، لكن ورد فضل لهذه الليلة؛ ولذلك ذكر أهل العلم ومنهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية أن هذه الليلة ليلة فاضلة، هي ليلة فاضلة وقد انقضت، يهمنا هنا أن علمنا بما ورد في الحديث من فضلها لم؟ لما جاء أنه يُغفر فيها لغير المشاحن، فكل من كان مؤمنا بالله غير مشرك به كما جاء في

الحديث، ولم يكن مشاحنا، فإنه يغفر الله عَزَّوَجَلَّ له، فأما الأمر الأول وهو التوحيد فهو الأصل، بأن يكون المرء معنيا بصفاء توحيده، ولا شك أن التوحيد له نواقص وشوائب، وله مُفقدات لكله؛ ولذلك فإن الإنسان يحرص على تعلم أحكام التوحيد والعبادة.

۞ **الأمر الأول:** سلامة الصدر وهو المهم؛ فإن سلامة الصدر من أهم الأمور للمسلم، وكثير منا يغفل عن هذا الجانب، ويظن مع حمله الحقد على غيره أنه سليم الصدر، ولربما دخل مسجدا فسمع واعظًا يعظ في سلامة الصدر، ويظن أن هذا الواعظ يقصد غيره، والحقيقة إنما هو يجب عليه أن يراجع نفسه، وأن ينفي ما في صدره من غل وحسد، وما في قلبه من ضغينة على إخوانه المسلمين؛ ولذا جاء في حديث مروي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رجلا جاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما دخل المسجد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هذا رجل من أهل الجنة»، في اليوم الاول والثاني، فجاء عبد الله بن عمرو فذهب إليه وقال: يا عم إن بيني وبين أبي خصومة، وأريد أن أبيت عندك، فبات عنده عبد الله فلم يره صاحب قيام ولا صيام، فقال له: إنما هو ما سمعته من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه ذكر أنك من أهل الجنة، ولم أر منك شيئا، فماذا تعمل؟ قال: هو يا ابن أخي ما رأيت، غير أني لا أبيت في قلبي ضغينة لأحد»، هذا الحديث احتج به كثير من أهل العلم، وهو يدل على معنى عظيم جدًا؛ وهو قضية أن سلامة الصدر من أسباب دخول الجنة، وسلامة الصدر هذه من أعظم النعيم، أشد الناس نعيما في الدنيا من كان قلبه سليما، **الدليل عليه:** أن في الآخرة لا ضغينة، والله عز وجل يختار للناس في الآخرة أكمل الصفات، لو كانت الضغينة والحسد والبغضاء علامة على قوة الشخص، وعلامة على خير في الشخص، وعلي نعيم في الشخص؛ لما نُزع من أهل الجنة، فلما نُزع منهم لأجل أن يتنعموا هم به، **ولذلك يقولون:** إنه كلما كان المرء أسلم صدرا، وكلما كان المرء أحسن طوية لغيره، فكلما كان ذلك سببًا في سعادته.

جاء أن عبد الملك بن قريب أراد أن يتعلم العربية، فجاء نحوا من هذه البلاد، فقد دار في وسط الجزيرة، فتعلم العربية منها، وعاش فيها سنين كثيرة، حتى إنه يقول: علمت بعض أبناء نجدٍ القرآن، فلما كنت أُقرِئُه: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١]، يقول: وكنت أقول له: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ ﴾ [المسد: ١]، فيقول الصبي -الذي لم يبلغ السادسة والخامسة-: تبت يدان، فأقول له: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ ﴾ [المسد: ١]، فيقول: تبت يدان، فلما قلت له في الثالثة: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١]، قال: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١]؛ لأن سليقتهم عدم حذف النون عند عدم الإضافة، فلابد من إيجاد المضاف إليه لكي تحذف النون؛ ولذلك لما عاش هنا قال: رأيت رجلًا قد عُمِّر، فأتيته وقلت: ما سبب طول عمرك؟ قال: سببه أني لا أحمل في قلبي ضغينة على أحد؛ ولذلك سلامة القلب من الضغينة -قبل أجر الآخرة- هي في الدنيا نعيم وراحة، وهي في الدنيا سبب لصحة البدن، وطول العمر؛ ولذلك كلما كان المرء أسلم صدرًا؛ كلما نفع نفسه، هو في الحقيقة أن تنفع نفسك، قبل أن تقول لأخيك المسلم أنك صاحب فضل عليه، أو أنك صاحب إحسان، وإنما أنت تنفع نفسك، وتحسن إلى نفسك، وثق -أحيانا- أنه إذا أخطأ عليك غيرك، ثم عفوت عن غيرك في حال قوة وقدرة، أنك في هذه الحالة تكون يدك العليا، ليس بعد طلب، وإنما حال القدرة، أحيانا قد تتنازل ابتداء، نعم لك أجر، أما وقد قدرت على رد الصاع بصاعين، أو على رد الصاع بمثله فعفوت؛ فإنك -حينئذٍ- تكمل أجرك.

قصدي من هذا ما هو؟! أن المسلم يحرص دائمًا على أن يكون سليم الصدر لإخوانه؛ ولذلك قيل للإمام أحمد مرة: ماذا توصيني؟ قال له: عبد الله، ماذا توصيني؟ قال: أوصيك بسلامة الصدر، يقول ابن مفلح -لما ذكر هذه الوصية-: وهذه وصية عظيمة من أبٍ حانٍ لابنه، أوصيك بسلامة الصدر، **يعني**: وصية نحن نسمعها في كلمتين، وهي في الحقيقة

عظيمة المعنى، أوصيك بسلامة الصدر.

كيف تكون سلامة الصدر؟!

الأمر الأول: كل تصرف من امرئ احمله على المحمل الحسن، قال عمر رضي الله عنه: إذا قيلت لي كلمة، أو رأيت تصرفًا من شخصٍ؛ بحثت له عن سبعين عذرًا، فإن لم أجد له عذرا؛ اتهمت نفسي أني لا أحسن.

دائمًا احمل كلام الناس على معنى حسن، هناك شيء صريح مثل الشمس أنه معنى سيء، هذا أمر آخر، لكن ما كان ذا أوجه؛ فاحمله على المحمل الحسن.

الأمر الثاني: إياك وإياك وإياك -هذه ثلاثة تحذيرات- أن تكون أُذْنًا، من يستمع ماذا يقول الناس فيه، أو يرضى أن أحدًا ينقل له حديثا؛ هذا ليس سليم الصدر، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إِنِّي أَوَدُّ أَنْ أَخْرُجَ لَكُمْ سَلِيمَ الصَّدْرِ، فَلَا تُخْبِرُونِي عَنْ أَصْحَابِي شَيْئًا**»، لا أحد يقول لي: أصحابك سوى كذا، فعل كذا، قال كذا، لا تكن أُذْنًا، دائما حاول أن لا تسمع في أحد شيئا قدر استطاعتك؛ ولذلك اشغل مجلسك بأمر آخر غير الحديث في الناس، اشغل مجلسك بعلم، اشغله بقراءة، حاول قدر المستطاع أن لا تستمع، الذي يستمع قال وقيل وهكذا؛ هو من أشد الناس حملا للضغينة في قلبه، وقد ذكروا أن الحسن البصري جاءه رجل، فقال: يا حسن -نسيت كنيته- إن فلانا يقول فيك كذا وكذا، فالتفت إليه وقال: ألم يجد الشيطان رسولا غيرك؟ ما وجد الشيطان أحدا يرسله إلا أنت.

يقول أحد الإخوان المشايخ: جاءني أحد الزملاء، فقال: فلان زميلك يقول فيك كذا، يقول: وهذا -طبعا- حديث الإعادة، وهذا أكبر من السن، يقول: فقلت له كلمة الحسن هكذا فقط، مثل الحسن، يقول: ولها -الآن- قصة يتكلم أكثر من عشرين سنة، يقول: وهذا الرجل تغير بسبب الكلمة التي يقولها الحسن؛ ولذلك دائمًا لا تستمع لأحد، ولا تكن أذنا.

۞ **الأمر الثالث:** مهم جدًا في قضية سلامة الصدر، أنك لا بُدّ أن تدعو لأخيك المسلم قدر المستطاع، كلما دعوت له؛ كلما كان ذلك سببًا لسلامة صدرك، الله عَزَّوَجَلَّ ذكر عن المؤمنين: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الحشر: ١٠]، دعوا بأن الله عز وجل يزيل عن قلوبهم الغل، وأن يغفر الله عز وجل للمؤمنين، كذلك ذكر في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**خَيْرُ أَئِمَّتِكُمْ، الَّذِينَ تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَيُصَلُّون عَلَيْكُمْ، وَتُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ**»، تصلون عليهم؛ يعني: تدعون لهم، ويصلون عليكم؛ يدعون لكم، وتحبون أئمتكم ويحبونكم، مما يدل على أن هناك دلالة اقتران بين المحبة وبين الدعاء، فدائمًا دعاؤك للمسلمين من أجمل الأمور، وثق أنه ما من أحد، ثق ثقة عمياء، وهذا ذكرها شيخ الإسلام، وذكر لها حديثًا لطيفًا، ما من شخص بينه وبينك تجد أنه أخطأ عليك، تدعو له فيتغير قلبه وليس قلبك، هو الذي سيتغير قلبه، وللشيخ فيها ملحظ عند الحديث مشهور جدًا.

۞ **أيضًا مما يتعلق بقضية سلامة الصدر،** وهو أن الإنسان يراجع نفسه دائمًا، كثير من الناس أصلا لا يراجع نفسه، ما معنى: يراجع؟ يقول: هل في قلبي على أحد خصومة؟ كثير من الناس ينام الليل كأن ما بينه وبين الناس عداوة؛ فإذا جاء الغد يرى من بينه وبينه عداوة فتجده لا يسلم عليه سلامًا جيدًا، وهكذا، راجع نفسك، ما هي علاقتك مع زملائك في عملك؟ مع قرابتك؟ مع جيرانك؟ راجع كل من بينك وبينه عداوة، فإذا ذكرت العداوة التي بينك وبينه، فعليك بثلاثة أمور:

ادع له، احمل له هدية؛ ثم بعد ذلك حاول أن تنقي قلبك، وتنقية القلب إنما هي بالتدريب، وهذا ما لا يستطيعه أحد –مثل ما قال عبد الله بن عمرو- إلا بدربة، بالدعاء، ومحاولة الاستغفار له، وكثرة الدعاء له، قلت هذا لم؟ لأننا مقبلون على شهر عظيم كريم؛ وهو شهر رمضان، ومن أنسب ما يتقدم قبل هذا الشهر، أن المرء يزيل ما في قلبه من ضغينة على أي أحد من المسلمين، فإن كان –الآن- قد وصلتك كلمة من أحد من إخوانك أو قرابتك أو جيرانك؛ فليكن مراجعتك لنفسك بالاتصال عليه، وذكره بالذكر الحسن، أقرب الناس لك زوجتك، أخوك، أختك، والدك، والدتك، أي خطأ صدر من هؤلاء تعافى عنه،

وتناسى، واستغفر الله عز وجل لأخيك، أو ابن عمك، أو زوجك.

ومن ذا الذي تُرضى سجاياهُ كلُّها كفى بالمرء نبلًا أن تُعَدَّ معايبُه.

❁ **في هذه الأيام قبل دخول الشهر الكريم،** ليكن سببًا لإزالة كل ما في قلب المسلم من ضغينة، أقول هذا الكلام؛ لأن أغلب الحاضرين طلبة علم، وأنسب الناس بمكارم الأخلاق هم أعلم الناس بسنة النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ لما عُلِّم القرآن كان خلقه القرآن، قالت عائشة: «كان خلقه القرآن»، كذلك أنت، لما عُلِّمت القرآن، وعُلِّمت بيان القرآن، لأن النبي ﷺ سنته هي بيان القرآن كما تعلمون، لما عُلِّمت القرآن وبيانه، طبعًا الرسول لا يحتاج لبيان؛ لأنه أعلم، كما قال الشافعي: لا يحيط بمعاني العربية إلا نبي، فالنبي هو المبيِّن، فلا يحتاج إلى بيان القرآن، فأنت لما علمت القرآن وبيانه، أنت أولى الناس بتطبيقه؛ ولذلك الذنب منك الصغير هو كبير لغيرك؛ كالثوب الابيض إذا وقعت فيه نقطة حمراء أوسوداء ظهرت، بخلاف الثوب الأسود فإنه لا يظهر إلا بعد نقط كثيرة، ليكن طالب العلم من أكمل الناس خلقًا، ومن أسلمهم صدرًا، ومن أحسنهم سرًا.

❁ **احرص على أمور السر حينما تخلو بنفسك،** ولا يطلع عليك إلا ربك، هذه الأمور الثلاثة -التي ذكرت لك- هي من أهم البطينة الداخلية، سلامة الصدر، والخلق الحسن، والثالثة: السر، عندما تكون في خفاء، إذا أحسنت هذه الأمور الثلاث؛ فأبشر أن بينك وبين الله عز وجل سريرة عظيمة، وأن الله عز وجل قد اصطفى لك أمورًا غير الأمور العلانية التي يراها الناس من صلاتك، وطلاقة لسانك، وطول قيامك، هذه الأمور التي لا يعلم بها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، وهي التي يرزقها من شاء.

أسأل الله عز وجل لنا جميعا أن يجملنا بأكمل الأخلاق وأحسنها،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

❦ ◈ ❦